**المحاضرة الثانية : النقد و معطيات عصر النهضة**

يعلن عصر النهضة عن اختلاف ركائز التفكير و مبادئه، و تكون المستجدات السابقة الذكر أهم العوامل التي أعلنت عن استيفاء عصور بأكملها تم إدراجها ضمن دائرة التخلف و الرجعية و الماضي الذي ينبغي تجاوزه من أجل تحصيل حاضر أفضل مختلف، إذ بإمكانه تبديد ظلمات القرون الوسطى، و بعث الأمل من جديد بوساطة نور العقل البشري، كان لا بد من البحث عن بديل يحل محل التفكير الماورائي/ الديني، و لأنه لاشيء ينطلق من فراغ كانت الحضارة اليونانية وجهة رواد عصر النهضة بحثا فيما خلفه فلاسفتها، و لم يكن الأمر مباشرا إذ كان علماء العرب وسيطا من خلال الترجمات التي قاموا بها لهذا التراث اليوناني القديم خاصة كتب أرسطو Aristoteو أفلاطونPlaton زعماء الفكر اليوناني...

فتعلق الأمر في البداية بالفكر و التفكير و إرساء مبادئ معينة لمنظومة فكرية قوامها العقل و المنطق بما هما دليل الإنسان و مرشده، و هذه أفكار لطالما ارتبطت بأرسطو إذ ركز عليها بالبحث، و كان المنطق الصوري خلاصة ما انتهت إليه البحوث الفلسفية آنذاك، فصار العالم منظورا إليه بطريقة مختلفة لا علاقة له فيها بالتصور الماورائي، و لكن للعقل منهج في التقصي يمكن من خلاله التفسير و البحث و بعدها الوصول إلى نتيجة، هذه النتيجة هي صورة لليقين الذي ينشده الإنسان و يسعى قصارى جهده من أجل الوصول إليه و تحقيق الراحة النفسية التي ينشدها العقل، فتجيب عن الأسئلة التي تشوش تفكيره.

و لم يبق الأمر متعلقا بعمليات ذهنية عقلية، و لكن تجاوزت كل هذا لتقارب الواقع و العالم الحسي والمادي، و كل هذا بشر بميلاد البحث العلمي التجريبي الذي يرى ضرورة المطابقة بين الفكر/ العقل و الواقع من أجل تحقيق البعد المادي، و كان الانطلاق من سبل التفكير هذه كفيل بالإعلان عن نهاية مرحلة تاريخية كان الاعتقاد فيها سائدا حول العالم الماورائي، و البحث في سبل التفكير هذه يهدف إلى مقاربة مناهل و مرجعيات النقد العربي الحديث الذي كان مجالا من بين جملة المجالات التي تحكم في مصيرها الجديد الذي أعلن عنه عصر النهضة بما هو انفتاح على كل الحضارات و العلوم و هو في الوقت نفسه تخلص من سيطرة كانت تكبل الفكر و تعيقه.

فكانت المعرفة بابا واسعا دخل منه النقد تفكيرا أكثر وضوحا و موضوعية، بعيدا عن كل أشكال الذوق والتذوق الفني ... فكانت أولى مستجدات النقد ارتباطه بمفهوم المنهج بعدما صار للعقل منطق خاص به يتمثل في مجموعة خطوات يراد الوصول من خلالها إلى نتيجة، هذه النتيجة تكون حصيلة مجموعة من الأسباب، فكان الضبط هو أولى الأهداف التي عمل النقد على تحقيقها في عالم الأدب و العلوم الإنسانية، فتقاربت بوساطة المنهج العلوم الطبيعية و العلوم الإنسانية و صارت سبل الوصول عند كليهما متشابهة، يكون العقل هو أساسها، بوصفه منظومة محددة و مضبوطة.

و رغم اختلاف العلوم الطبيعية و العلوم الإنسانية لكون هذه الأخيرة أكثر ارتباطا بالأرواح، إلا أن العقل في النهاية كان وسيطا في الإحساس و الشعور و كذا أساسا في الذوق، فلا يخلو التفكير في هذه الفترة من اعتماد العقل، و منه جرى التقريب بين سائر العلوم على اختلافها، علوما طبيعية كانت أم إنسانية، و تأكد الارتباط التام بين هاذين الطرفين نتيجة انتهت إليها البحوث اللغوية عند فاردناند دي سوسير، حيث أكد انفصال علم اللغة عن خدمة العلوم الأخرى، إذ هي علم قائم بذاته لا يهدف إلا لخدمة اللغة في ذاتها و لذاتها، فصارت للغة سبل في التحليل تقارب سبل التحليل العلمية.

وكانت آراء سوسير فتحا عظيما دخل العالم من خلاله تصورا جديدا مختلفا للغة استثمرته البحوث النقدية فيما بعد، و صار المنهج رفيقا دائما للغة شأنه في ذلك شأن باقي العلوم، و في المقابل انفصلت العلوم الإنسانية عن بعضها البعض، فكان علم النفس و علم الاجتماع و علم للتاريخ و آخر للفلك...كل يملك ما يثبت علميته و انفصاله عن غيره، و رغم عدم وضوح معالم التفكير الفلسفي و العلمي في بداية عصر النهضة إلا أن الأمر اختلف فيما بعد و تدرج تعلق المنطق و العلم بهذه المجالات حتى صار أداتها و وسيلتها في المقاربة، فتكون الإشكالية في نهاية هذا التمهيد متعلقة بالمرجعيات التي أسست لنقد عربي حديث، تراوحت ظروفه بين الفلسفية و العلمية و كذا ضرورة التبويب بوساطة المصطلح .

كلها مستجدات انتهت إليها جملة التغيرات التي مر بها العالم بعد مرحلة الضعف و الانحطاط أيام القرون الوسطى و تزامنا مع عصر اصطلح على تسميته بعصر النهضة renaissance بما تحمله هذه الكلمة من دلالة على الخروج من دائرة الغموض و الإبهام إلى علم تضبطه حدوده و قوانينه،ـ إذ ينفصل عن كل تفسير أسطوري كان يملأ الفجوة بينه و بين واقعه و رغم الاعتقاد بالمنظومة الأسطورية إلا أن العالم من خلالها بقي مخيفا و بقي الإنسان عبدا لإرادات ما ورائية خارقة رغم ما يزحزح هذه الاعتقادات من لحظات يتدخل فيها العقل، عقل تم تجميده و تقييده بجملة من الاعتقادات المضللة و المموهة، إلا أن الاستيقاظ و الفتح على يد رواد النهضة من مفكرين قادوا ثورة ضد الكنيسة و قوانينها و قالوا بإمكانية تحرير الإنسان عن طريق سبل العقل و العلم.